

الفصل السابع

واجتباه ربه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء - الآية 1].

١

المكان: الكعبة.

الوقت: مساء.

اليوم: الاثنين.

الشهر: رجب.

السنة: الأخيرة قبل الهجرة.

صلى محمد ﷺ لربه صلاة العشاء، ثم استغرق في العبادة، والتأمل..

ترى فيم تفكر يا حبيبي؟

أتفكر في أهل مكة الذين تخلوا عن كل قيمهم، ووجهوا كل همهم وكل همتهم إلى مقاتلة الحق، إلى الحد الذي جعلك لا تجد من بينهم - بعد وفاة عمك أبي طالب - مجيرا ولا نصيرا، إلا بعد تعب وأى تعب، مع أنك صاحب حق، وصاحب دعوة هي الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟! ولقد ضل أهل قريتك التي أحببت، أضلهم إبليس اللعين عن النور والهدى الذي جاءهم من الله، وعن كتاب الله المبين.

وبات الأقوياء من أهل مكة ومن حولها يطاردونك بالكراهية، وينبذونك من بينهم، وأنت يا حبيبي لم تكره أحدا وما كرهت مخلوقا، فلم تعرف نفسك الطيبة ظلا من كراهية؛ وقد أعلمك الله أن الأنبياء والرسل على مدى عمر البشرية يواجهون بالكراهية والأذى.

أم تراك قد أخذك التفكير إلى ما يلقى أصحابك من تعذيب وظلم وهجرة، حتى لتشق عليهم الحياة، فتصبح عذابا وابتلاء؟

ترى أهذا ما كان يستغرق تفكيرك يا حبيبي؟

وإنك في النهاية تخلص إلى عقيدتك الراسخة رسوخ الجبال، من كون كل شدة تهون يا رب. إذا لم

يكن بك سخط على ، أو غضب منى ، لأنك يا حبيبي من الصابرين الذين قال فيهم رب العزة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة - الآية ١٥٦].

وها هو ذا رسول الله ﷺ قد دخل في حال الاستغراق ، فارتقى ليعيش في نور الله ، ويصير فيضاً من النور ، حتى لا يدري عن كيانه البشرى شيئاً: أهو دم ولحم وعظم ، أو هو روح تهيم في ملكوت ربها؟.

يقول ﷺ :

- بينما أنا في الحطيم مضطجعا إذ أتاني آت ، فشق ما بين هذه إلى هذه ، وأشار إلى مكان صدره وسرته : فاستخرج قلبي.

ثم جاء جبريل ﷺ إلى رسول الله ، ومعه دابة بيضاء ، هي فوق الحمار ودون البغل . فهي وسط بين هذا وذاك ، ودعا محمداً ﷺ لأن ينهض ، فنهض ، ثم دعاه لأن يركب البراق ، ففعل ، وانطلقت به الدابة وخطوها عجب عجاب ، فالأرض تطوى لها طياً ، وخطوتها تصل لأبعد ما يدرك البصر ، فكأنها هي البرق لا البراق.

فسبحان الخلاق العظيم..

خلق ما خلق .

ويخلق ما لا تعلمون.

وعند أرض بها نخل توقف البراق وقال له جبريل :

- انزل فصل .

وترجل رسول الله ، وصلى ركعتين ، ثم عاد فركب الدابة ، وسأله جبريل :

- أتدري بأى أرض صليت؟.

قال :

-- لا .

قال جبريل :

-- لقد صليت بطيبة و إليها المهجر .

وانطلق البراق ، وما هي إلا لحظات حتى توقف ، وأعاد جبريل على رسول الله : طلب النزول والصلاة ، ونزل النبي صلى ، ثم أخبره جبريل أنه صلى بمدين مهبط موسى .

وتكرر الأمر للمرة الثالثة ، ونزل النبي عن البراق صلى ، ثم أخبر بأنه صلى بظور سيناء حيث كلم الله نبيه موسى تكليماً .

وفى المرة الرابعة صلى بببيت لحم ، وهى أرض ذات قصور ، حيث ولد نبي الله عيسى عليه السلام .

وبينما البراق يشق الأرض شقاً، إذ بعفريت من الجن يلاحق النبي بشعلة في يده يريد أن يؤذيه، ولقد رأى النبي ذلك، فالتفت يطلب العون من مبعوث السماء، فقال له جبريل:

- ألا أعلمك كلمات تقولهن، فإذا قلتهم طغئت شعلته.

قال النبي ﷺ:

- نعم يا أخى يا جبريل.

قال جبريل عليه السلام:

- قل، أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ فى الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن.

لما قالها رسول الله ﷺ، انكبت العفريت على وجهه، وانطقت شعلته.

فسبحان الله المعيد لمن يستعيد.

ومر البراق بناس يزرعون ويحصدون فور زرعهم، وكلما حصدوا عاد الزرع كما كان، فسأل جبريل عنهم، فقال:

- هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله، تضاعف لهم الحسننة بسبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فألله يخلفه.

ومست أنف النبي ريح طيبة كأنها المسك، فسأل جبريل فقال:

- هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، كانت تمشط شعر سيدتها فوق المشط من يدها فقالت:

بسم الله، تعس فرعون.

فسألتها ابنة فرعون: أولك رب غير أبى؟!

فقال لها: نعم، ربي وربك هو الله.

وكانت المرأة متزوجة، ولها ابنان، فأرسل فرعون يستدعيها وزوجها، وأخذ يساومهما للرجوع عن دينهما فأبيا، فقال فرعون: إنى قاتلكما. فرجته المرأة أن يجمع عظامها وعظام زوجها ويدفنها معا، فقال فرعون: سوف أجيبك إلى طلبك.

وحين التنفيذ أوقدت النار وحضرت المرأة تحمل رضيعها، وإلى جانبها يسير ابنها وزوجها، وألقى الزوج فى النار، ولما جاء دور الأم نظرت إلى وليدها وتقااست حناناً عليه، فإذا بالوليد ينطقه الله فيقول لأمه:

- يا أمه قعى ولا تتقاعسى، فإنك على الحق.

واستمرت الآيات تترى..

ليريه ربه من آياته..

ويعلمه ما لم يكن يعلم.

فصر بأناس تقطع رؤوسهم، وكلما قطعت عادت كما كانت، وأعلمه جبريل أن هؤلاء هم الذين تتشاغل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

ثم أتى على أناس على أقبالهم وعلى أدبارهم رقاع، وقال عنهم جبريل: إنهم الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئاً.

ومن بعدهم مر السراق بأناس وضعت أمامهم قدور بها لحم طيب ناضج، وأخرى بها لحم نيئ خبيث، فيتركون اللحم الطيب، ويأكلون من اللحم الخبيث، فسأل رسول الله: - ما هذا يا جبريل؟.

قال جبريل:

- هؤلاء أناس من أمتك تكون عندهم المرأة حلالاً طيباً، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً، فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى الصباح.

ثم مضى هنيئة، فإذا بأقوام بطونهم أمثال البيوت، فيها الحياة ترى من خارجها، كلما نهض أحدهم خر، فيقول: اللهم لا تقم الساعة. وهم على سابلة آل فرعون، فتجئ السابلة فتطؤهم، فيضجون إلى الله تعالى.

فقال رسول الله:

- يا جبريل من هؤلاء؟.

قال جبريل:

- هؤلاء من أمتك ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

الْمَسِّ ﴿٧٥﴾ [سورة البقرة - الآية ٢٧٥].

وبعد حنيئة إذا بأقوام مشافهم كمشافر الإبل، فتفتح أفواههم ويلقون من صخر جهنم، ثم يخرج من سافلهم، وسمعهم يضجون إلى الله تعالى، وسأل رسول الله:

فقال جبريل:

- هؤلاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِنَا ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ

سَعِيرًا ﴿١٠﴾ [سورة النساء - الآية ١٠].

ومن بعدهم مر على نساء معلقات بأثدائهن، ونساء منكسات بأرجلهن، وسمعهن يضجن إلى الله تعالى، وأعلمه جبريل بأنهن اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن.

ومضى هنيهة فإذا يقوم يقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه ، ويقال للواحد منهم :
- كل كما كنت تأكل من لحم أخيك .

فقال :

- من هؤلاء يا جبريل .

قال :

- هؤلاء الهمازون اللمازون .

ثم أتى على خشبة بالطريق لا يمر بها ثوب ولا شيء إلا خرقته ، فلما سأله ، قال له جبريل :

- هؤلاء مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعون .

ثم رأى رجلا قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها ، وما سأله ، قيل : إن هذا الرجل عنده أمانات الناس لا يستطيع أداؤها ، ويريد أن يزيد عليها .

ومرا بعدها على قوم تقرض ألسنتهم بمقارض من حديد ، وكلما قرضت عادت ، قال رسول الله :
- من هؤلاء ؟ .

قال جبريل :

- هم خطباء الفتنة من أمتك يقولون مالا يفعلون .

ثم أتيا على قوم لهم أطافر من نحاس . يمشون بها وجوههم وصدورهم ، وقال جبريل :

- هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم .

وأتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، ثم أخذ الثور يريد العودة من حيث أتى فلا يستطيع ، وقال جبريل عنه :

- إنه الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ويريد أن يرجع عنها ، فلا يستطيع ردها .

٤

وسمع صوت آت من واد تفوح منه ريح طيبة باردة أحسن من ريح المسك ، فسأله رسول الله ﷺ ،
فقال جبريل :

- هذا صوت الجنة تقول .. يا رب إيتني بما وعدتني ، فقد كثرت غرقي وإستبرقي وحريري
وسندسي وعبقري ، ولؤلئي ومرجاني ، وفضتي وذهبي ، وأكوابي وصحافي ، وأباريقي ومراكبي ، وعسلي
ومائي ، ولبني وخمري .

قال تعالى : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بى وبرسلى ، وعمل صالحا ، ولم يشرك
بى ، ولم يتخذ من دونى أندادا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألتى أعطيته ، ومن أقرضنى جزيته ،
ومن توكل على كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا ، لا أخلف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله
أحسن الخالقين . قالت الجنة : قد رضيت .

وأتى على واد ثان فسمع صوتا منكرا، ووجد ريحا منتنة، فسأل رسول الله ﷺ :
- ما هذا يا جبريل؟!.

قال جبريل:

- هذا صوت جهنم، تقول: يا رب إيتني بما وعدتني، فقد كثرت سلاسلي وأغلال وسعيري،
وحميمي وضريعي وحمامي وغساقى وعذابي، وقد بعد قعري واشتد حرى، فأتني بما وعدتني. فيقول
الله: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وخبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب؛
قالت النار: قد رضيت.



رأى النبى ﷺ، الدجال أقر هجان، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب درى، وكأن شعر رأسه
أغصان شجرة، ثم رأى عامدا أبيض كأنه لؤلؤ تحمله الملائكة، فلما سأل:
- ما تحملون؟.

قالوا:

- عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام.

وبينما البراق يسير دعا النبى داع عن يمينه يقول:

- يا محمد، انظرنى أسألك.

فلم يجبه رسول الله ﷺ، فلما سأل:

- من هذا يا آخى يا جبريل؟.

أجاب جبريل عليه السلام:

- هذا داعى اليهود، أما انك لو أجبته لتهودت أمتك.

ثم ما لبث أن دعاه داع عن شماله:

- يا محمد، انظرنى أسألك.

فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأل:

- من هذا يا جبريل؟.

قال جبريل عليه السلام:

-- أنه داعى النصارى، ولو أجبته لتنصرت أمتك.

ثم إذ بامرأة حاسرة عن ذراعها، وعليها من كل زينة خلقها الله سبحانه وتعالى، فقالت:

-- يا محمد، انظرنى أسألك.

فلم يجبها، ثم قال:

-- ومن هذه يا جبريل؟!.

قال جبريل:

- تلك الدنيا، أما إنك لو أحببتها، لاخترت أمتك الدنيا على الآخرة.

وبعدها ظهر رجل متنح عن الطريق يدعوه:

- هلم يا محمد.

فلم يلتفت إليه وتقدم في طريقه، وأعلمه جبريل أن ذاك الرجل هو إبليس عدو الله أرادك أن

تميل إليه.

٦

ولما وصلا إلى بيت المقدس دخلاه من بابه اليماني، وإذا عن يمين المسجد الأقصى، وعن يساره نوران

ساطعان، فقال رسول الله متسائلا:

- ما هذان النوران يا جبريل؟

قال جبريل:

- أما الذى عن يمينك فإنه محراب أخيك داود، وأما الذى عن يسارك فعلى قبر أختك مريم.

ودخل رسول الله المسجد من باب تميل منه الشمس والقمر، وعند الصخرة سأل جبريل

محمدا ﷺ:

- هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟

قال رسول الله:

- نعم.

فأشار جبريل إلى جانب من الصخرة، وقال:

- فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن، وهن جلوس عن يسار الصخرة.

فسلم رسول الله عليهن، ثم سألهن عن كينونتتهن، فقلن:

- خيرات حسان، نساء رجال أبرار، نقوا فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا، وخذلوا فلم يموتوا.

ثم صلى النبي فى المسجد منفردا ركعتين، وصلى جبريل منفردا ركعتين، ولم يلبثا إلا قليلا، ثم

توافد ناس كثيرون، ثم أذن مؤذن، فتدافعوا حتى قدموا محمدا ليصلى بهم، فصلى بهم، فلما ختمت

الصلاة، قال جبريل:

- أعلمت من صلى خلفك؟

قال رسول الله ﷺ:

- لا.

قال جبريل:

- كل نبي بعثه الله.

ثم بدأ الأنبياء في الثناء على ربهم، فقال إبراهيم عليه السلام:
- الحمد لله الذى اتخذنى خليلا، وأعطانى ملكا عظيما، وجعلنى أمة قانتا يؤتم بى، وأنقذنى من النار، وجعلها على بردا وسلاما.

وأثنى موسى عليه السلام على ربه، فقال:

- الحمد لله الذى كلمنى تكليما، وجعل هلاك فرعون، ونجاة بنى إسرائيل على يدى، وجعل من أمتى قوما يهدون بالحق وبه يعدلون.

ثم أثنى داود عليه السلام على ربه، فقال:

- الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما، وعلمنى الزبور، وألأن لى الحديد، وسخر لى الجبال يسبحن والطير، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب.

وأثنى سليمان عليه السلام على ربه، فقال:

- الحمد لله الذى سخر لى الرياح، وسخر لى الشياطين والإنس، يعملون لى ما شئت من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، وعلمنى منطق الطير، وآتانى من كل شىء فضلا، وسخر لى جنود الشياطين، والإنس والطير، وفضلنى على كثير من عباده المؤمنين، وآتانى ملكا عظيما لا ينبغى لأحد من بعدى، وجعل ملكى ملكا طيبا ليس فيه حساب ولا عقاب.

وأثنى عيسى بن مريم عليه السلام على ربه، وقال:

- الحمد لله الذى جعلنى كلمته، وجعل مثلى مثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وجعلنى أبرئ الأكمه والأبرص وأحىى الموتى بإذن الله، ورفعنى وطهرنى، وأعازنى وأمى من الشيطان الرجيم ولم يكن للشيطان علينا سبيل.

فقال محمد ﷺ:

- كلکم أثنى على ربه، وبنى مثنى على ربي.. الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا ونذيرا، وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شىء، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتى وسطا، وجعل أمتى هم الأولون والآخرون، وشرح لى صدرى، ووضع عنى وزرى، ورفع لى ذكرى، وجعلنى فاتحا وخاتما.

فقال إبراهيم عليه السلام:

- بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم.

وحين اجتمعوا على حديث تذاكروا أمر الساعة، فقال إبراهيم عليه السلام:

- لا علم لى بها.

وقال موسى عليه السلام، مثل ما قال إبراهيم عليه السلام، ثم قال عيسى عليه السلام:

- أما وجوبها فلا يعلمه إلا الله، وفيما عهد إلى ربي أن الدجال خارج، وأنى خارج ومعى قضيبان، فإذا رأتى ذاب كما يذوب الرصاص، فيهلكه الله تعالى ومن معه، حتى أن الحجر ليقول: يا مسلم، إن

ورأى كافرا فتعال فاقتله ، فيهلكهم الله ، ثم يرجع الناس إلى بلادهم ، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حذب ينسلون ، فيطئون البلاد ، لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرون على ماء إلا شربوه ؛ ثم يرجع الناس فيشكونهم إلى ، فأدعو الله تعالى عليهم ، فيهلكهم ويميتهم حتى تحوى الأرض من ريحهم ، فينزل الله المطر ، فيجرف أجسادهم إلى البحر ؛ ففيما عهد إلى ربي أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادتها ليلا أو نهارا .

(٧)

ثم أتى بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم إلى جنة الفردوس : منضد باللؤلؤ ، له مرقاة من ذهب ، ومرقاة من فضة ، عن يمينه ملائكة ، وعن يساره ملائكة ، فصعد رسول الله وجبريل حتى انتبيا إلى باب الحفظة ، وهو من أبواب السماء الدنيا فاستفتح جبريل : قيل :

- من هذا؟ .

قال :

- جبريل .

قيل :

- ومن معك؟ .

قال :

- محمد .

قيل :

- أوقد أرسل إليه؟ .

قال :

- نعم .

قيل :

- مرحبا به ، ولنعم المجيء جاء .

فلما خلاصا ، فإذا فيها آدم عليه السلام كهياته يوم خلقه الله ، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين ، فيقول : روح طيبة ، ونفس طيبة ، اجعلوها فى عليين ؛ ثم تعرض عليه أرواح ذريته الكفار فيقول : روح خبيثة ، ونفس خبيثة ، اجعلوها فى سجين .

وكان عن يمينه أسودة وباب تخرج منه ريح طيبة ، وعن شماله أسودة وباب تخرج منه ريح خبيثة ؛ فإذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر عن شماله حزن وبكى .

فسلم عليه رسول الله ﷺ ، فرد عليه السلام ؛ ثم قال :

- مرحبا بالابن الصالح ، وبالنبي الصالح .

فقال رسول الله:

- من هذا يا جبريل، وما هذه الأسود التى عن يمينه، والتى عن يساره؟.

قال جبريل:

- هذا أبوك آدم، وهذه الأسود نسمة بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، وأهل الشمال منهم أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة، وإذا نظر من يدخله من بنيه ضحك واستبشر، والباب الذى عن شماله باب جهنم، إذا نظر من يدخله من ذريته بكى وحزن.

ثم صعدا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فسأك عمن معه فأخبرهم، فرحب به الحفظة، بمثل ترحيب من قبلهم، وفتح لهما، فلما خلاصا، فإذا بابنى الخالة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، عليهما السلام، شبيه أحدهما بصاحبه: ثيابهما وشعرهما، ومعهما نفر من قومهما.

فسلم عليهما رسول الله، فردا السلام، ثم قال:

-- مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ودعوا له بالخير.

ثم صعدا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، وكان مثل ما حدث عند الاستفتاح فى السماءين، ولما خلاصا، فإذا بيوسف عليه السلام ومعهم نفر من قومه، فسلم عليه فرد السلام، ثم قال بمثل ما قال عيسى، ودعا بمثل ما دعا.

وفى السماء الرابعة التقى بإدريس عليه السلام، وقد رفعه الله مكانا عليا، فسلم رسول الله عليه، ورد عليه سلامه، ثم دعا له.

وفى السماء الخامسة التقى بهارون بن عمران عليه السلام، وحوله قوم من بنى إسرائيل، وسلم عليه رسول الله، ورد عليه بمثل سابقه.

ثم صعدا إلى السماء السادسة..

فلما خلاصا فإذا بموسى بن عمران عليه السلام، رجل آدم طوال كأنه من رجال شتوة، كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفد الشعر دونهما، فسلم عليه رسول الله، فرد عليه السلام ثم رحب به ودعا له، وقال:

- يزعم الناس أنى أكرم على الله من هذا، بل هذا أكرم على الله منى.

فلما جاوزه النبي بكى موسى، فقيل له:

-- ما يبكيك؟.

قال:

-- يا ربى هذا الغلام الذى بعث بعدى، يدخل الجنة من أمتة أفضل مما يدخل من أمتى.

فلما انتهيا إلى السماء السابعة رأى فوقه رعدا وبرقا وصواعق، فاستفتح جبريل، ففتح له بعد أن سأل عن من معه، وسمع النبي ﷺ تسبيحا في السماوات العلاء، مع تسبيح كثير يتردد من أصل الموجودات قائلة:

- سبحت السماوات من ذى المهابة مشققات: «سبحان العلى الأعلى، سبحانه وتعالى».
ولما خلاصا، إذا بإبراهيم عليه السلام جالس عند باب الجنة على كرسي مسندا ظهره إلى البيت المعمور، ومعه نفر من قومه، وحياه رسول الله.
فقال إبراهيم:

- مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم قال لرسول الله:

- مر أمتك، فليكثرُوا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة، وأرضها واسعة.

فسأله رسول الله:

- وما غرس الجنة؟

قال أبو الأنبياء إبراهيم:

- سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، والله أكبر.
ولحظ رسول الله ﷺ، أن الناس الجلوس حول إبراهيم عليه السلام بعضهم بيض الوجوه مثل القراطيس لا يشوب لون وجوههم شيء، وبعضهم شاب لون وجوههم شيء، فقاموا ودخلوا أنهارا فاغتسلوا فيها، فخرجوا وقد خلصت ألوانها فصارت مثل إخوانهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم.
فقال رسول الله:

- يا جبريل من هؤلاء بيض الوجوه، ومن هؤلاء الذين فى ألوانها شيء، وما هذه الأنهار التى دخلوها؟

فقال جبريل:

- أما هؤلاء بيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأما هؤلاء الذين فى ألوانها شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم، وأما هذه الأنهار فأولها: رحمة الله، والثانى: نعمة الله، والثالث: «ه وسقاهم ربهم شرابا طهورا».

ثم رفع إلى البيت المعمور..

وقيل للنبي هذا مكانك ومكان أمتك؛ وإذا بأمته شطران:

شطر عليهم ثياب كأنها القراطيس.

وشطر عليهم ثياب رمد.

فدخل النبي البيت المعمور، ودخل معه من أمته الذين عليهم الثياب الرمء وهم فى خير، فصلى ومن معه من المؤمنين، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. ولما انتهى النبي من صلاته خرج ومن معه.

قال رسول الله ﷺ:

- «مرت ليلة أسرى بى على الملأ الأعلى فإذا جبريل كالحلس البالى من خشية الله».

ثم رفع رسول الله ﷺ إلى سدره المنتهى، وإليها ينتهى ما يعرض من الأرض فيقبض منها، وإليها ما يهبط من فوق فيقبض منها، وإذا هى شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها، وإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها كأذان الفيلة، تكاد الورقة منه تغطى هذه الأمة.

وقيل للنبي:

- هذه سدره المنتهى ينتهى إليها كل أحد من أمتك سار على نهجك.

وإذا فى أصلها عين تجرى يقال لها السلسيل، ينشق منها نهران: أحدهما الكوثر، يطرد عجاجا مثل السهم، عليه خيام من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، وعليه طيور خضر أنعم طير، رأى فيه آنية الذهب والقضة، تجرى على رراض من الياقوت والزبرجد، ماؤه أشد بياضا من اللبن، فأخذ النبي آنية فاغترف وشرب، فإذا هو أحلى من العسل، وأشد ريحا من المسك.

قال جبريل:

- هذا هو النهر الذى حباك به ربك، والنهر الآخر نهر الرحمة.

فاغتسل فيه النبي، فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ولما اقترب النبي من الجنة، فإذا فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فرأى على بابها مكتوبا: «الصدقة بعشرة أمثالها، والقرض بثمانية عشر».

فسأل رسول الله عن السبب، فقال جبريل:

- لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يسأل إلا من حاجة.

واستقبلته جارية فسألها:

- لمن أنت؟

قالت:

- لزيد بن حارثة.

ورأى الجنة درة بيضاء و فيها قيب من اللؤلؤ، فقال:

- يا جبريل، إنهم يسألوننى عن الجنة؟

فقال جبريل:

- أخبرهم أنها قيعان ترابها المسك.

وهنا سمع خارجها وجسا، فسأل رسول الله ﷺ :

- يا جبريل ما هذا؟.

قال جبريل:

- بلال المؤذن.

وسار النبي فإذا هو في الجنة، وبها أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإذا رمانها كالدلاء، وإذا بطيرها كالبخاتي، وبينما هو يسير بنهر على حفتيه الدر المجوف، وطينه مسك أزفر، قال جبريل:

- هو الكوثر.. وهذا ما وعد به الله عباده المؤمنين.

ثم عرضت عليه النار التي وعد الله بها الكافرين والمشركين؛ فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، ولو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها.

ورأى مالكا خازن النار، فإذا هو رجل عابس يعرف الغضب في وجهه، فبدأ رسول الله السلام

ﷺ، ثم غلقت النار دونه، وتجسد قول الله جل وعلا: ﴿فَأَمَّا نَذْهَبِينَ بِكَ فَإِنَّا مِّنْهُم مَّنْ قَمُوتٌ ۝٤١﴾ أَوْ تُرْسِكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ [سورة الزخرف - الآيات ٤١ : ٤٢].

ثم رفع إلى سدرة المنتهى، فغشيتها من أنوار الخلائق و أنوار الملائكة أمثال الغربان يقض على الشجرة، و ينزل على كل ورقة ملك من الملائكة، فغشيتها سحابة من كل لون - وفي حديث - أن

جبريل قال للنبي:

- إن ربك يسبح.

قال رسول الله:

- وما يقول؟.

قال جبريل:

- «رحمتي سبقت غضبي».

٩

تأخر جبريل عن رسول الله، فقال له يستحته:

- تقدم يا أخى يا جبريل.

قال جبريل:

- لكل مخلوق مقام. وأنا لو تقدمت لاحتترقت، وأنت لو تقدمت لاحتترقت.

ثم عرج بالنبي حتى ظهر لمستوى سمع فيه صرير الأقلام، ورأى رجلا مغيبا في نور العرش، وأعلم أنه ليس بملك، ولا نبي، بل هو رجل من أمته كان في الدنيا لسانه رطبا من ذكر الله، وقلبه معلق

بالمساجد، ولم ينتسب لوالديه قط.

وأرى نور ربه سبحانه وتعالى.

فخر ساجدا..

وسلم ساجدا..

وكلمه ربه عند ذلك، فقال له سبحانه وتعالى: «يا محمد»

قال عبد الله محمد:

- لبيك يا رب.

قال تجلت قدرته وعظمته: «سل».

قال:

- إنك رب اتخذت إبراهيم خليلًا، وكلمت موسى تكليماً، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً، وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الرياح، وأعطيت ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذنك، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما من سبيل.

فقال الله الحكيم العدل الرحمن الرحيم: «قد اتخذتك حبيباً، وأرسلتك للناس كافة بشيراً ونذيراً، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، لا أذكر إلا وذكرت معي، وجعلت أمتك أمة وسطاً، وجعلت أمتك هم الأولين والآخرين، وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم، وجعلت أول النبيين خلقاً وأخرهم بعثاً، وأولهم يقضى له، وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشى لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم: الإسلام، والهجرة، والجهاد، والصدقة، وصوم رمضان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأنى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك الصلوات الخمسة، فقم بها أنت وأمتك.

ثم انجلت السحابة.

وأخذ بيده جبريل.

انصرفا سريعا.

وركب النبي منصرفاً إلى سماء الدنيا، فرأى دخاناً فسأل:

- ما هذا يا أخى يا جبريل؟

فقال جبريل:

- هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم ممن لا يتفكرون فى ملكوت السماوات والأرض، ولولا ذلك الانشغال لرأوا عجباً.

ومر البراق فى طريق العودة لمكة، بعير لقريش منها جمل عليه غرارتان واحدة بيضاء والأخرى

سوداء، فلما حاذى العير البراق نفرت واستدارت تريد الفرار، فردها ركابها، وصرخ البعير حامل
الغرارتين فلقد انكسرت ساقه، ثم مر بقافلة قد ضل منها يعير، فسلم النبي على أهلها فسمعوه،
قال بعضهم:
- هذا صوت محمد.

١٠

حين أصبح رسول الله ﷺ، جلس يتفكر بجانب الكعبة يستعيد ما أورى، وهو مهموم كراهية
ألا تصدقه صحابته، فمر عليه أبو جهل، وأسعده الحال التى رأى النبى عليها، فراح يتظاهر بالتودد
إليه، راغبا فى أن يعلم بما أهمه ليفرح وتبرد نار كراهيته قليلا بخبر يسوء محمدا.
قال له شامتا وقد تسترت عباراته فى نفاق كرية:

- هل كان من شىء؟

قال محمد ﷺ:

- نعم.

قال أبو جهل:

- ما هو؟

قال محمد ﷺ:

- أسرى بى الليلة.

قال أبو جهل:

- إلى أين؟

قال رسول الله ﷺ:

- إلى بيت المقدس.

تحركت الأفعى بعنف تستجمع سمها، ثم نفثته بقوة:

- أكنت ببيت المقدس عشية، ثم أصبحت بين ظهرانينا؟!!

قال الصادق ﷺ:

- نعم.

التفت الأفعى حول الفريسة، ورفعت رأسها وكشرت عن أنيابها متسائلة، والرغبة فى المقر تلهب
حماسها فيتناثر السم من شذقيها:

- أرايت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟

قال رسول الله ﷺ:

- نعم أفعل.

اندفعت الأفعى قافزة تنفث السم، تنادى:

- هلم يا معشر بنى كعب بن لؤى.

فانفضت مجالس قريش، وتجمعت حولهما، فقالت الأفعى لرسول الله، والسم يتناثر مع كلماتها، وقد أخذتها شهوة القتل:

- حدث قومك بما حدثتني.

وحدثهم رسول الله بما حدث، فتصايح القوم غير مصدقين، وقال المطعم بن عدي:

- كل أمرك قبل اليوم كان يسيرا، غير قولك اليوم؛ أنا أشهد إنك لكاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا، أتدعى أنت أنك أتيت في ليلة، واللات والعزى لا أصدقك.

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لمطعم:

- بنس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذبتة، أما أنا فأشهد أنه صادق.

ورفعت الأفعى رأسها وتمايلت فى سرور، فأبو جهل يعرف أن محمدا ما سافر قط إلى بيت المقدس، فقال له فى تحد:

- إذن صف لنا بيت المقدس، كيف كان بناؤه، وكيف كانت هيئته، وكيف كان قربه من الجبل؟. وكان من بين القوم من سافر إلى هناك، ورأى المكان وعابن تفاصيله، وبدأ رسول الله يصف البناء، وهم يلاحقونه بالأسئلة، حتى بات الأمر ملتبسا عليه، واستجمعت الأفعى السم فى أنيابها، فقد حان وقت اللدغ.

ولكن إن كان أهل محمد خاذليه، فإن رب العالمين لا يخذله فى أمر هو الصدق بعينه، ونقل القادر بقدرته بيت المقدس إلى رسوله، فصار ينظر إليه ويجيب القوم، فلا يترك أنملة إلا ووصفها، والصديق أبو بكر رضى الله عنه يكبر مؤمنا على كل حرف يقوله، والأفعى تتقلص وتتثنى غيظا وكمدا، وحين انتهت المناظرة، أقر له القوم فقالوا:

- أما النعت فو الله لقد أصاب.

وسارعت الأفعى بالدخول إلى جحرها، ولكنها عادت تطل ومعها مزيد من الأفاعى، فلعل الكثرة توقع بالفريسة، وطلب المتحلقون المزيد من البراهمين، فقالوا:

- يا محمد أخبرنا عن غيرنا التى خرجت إلى هناك؟.

قال النبى:

- مررت بعير حالها كذا وكذا..

وأخذ يصف لهم ما رأى العير عليه، وهو فى طريق عودته، ثم أضاف:

- وما هى ذى سوف تطلع عليكم من الثنية.

وتدافعت الأفاعى إلى طريق الجبل تنظر فلا ترى شيئا، فتتمايل فى نشوة، وتمر الساعات، ويقبل

ثم هاهي ذى رائحة التراب تزكم أنوفهم، وتنتشر فتسود وجوههم؛ ومن الثنية تظهر قوافلهم العائدة؛ وتطأ البعير بخفافها الأفاعى التى أذهلتها المفاجأة فتخشبت فى أماكنها مشدودة، وقد استغرقتها المفاجأة، ثم لا تكتفى بما ترى، فتنتقل إلى الركب العائد تتحرى، وتتقصى وتدقق؛ فإذا بما قال الرسول صدق من صدق.

وفحت الأفاعى وهى تلهث باحثة عن مفر:

- إنه لساحر، وصدق الوليد!.

سبحانك ربى..

أى عمى هذا الذى أصاب منهم القلوب قبل العيون، فصاروا لا يبصرون، ولا يسمعون، ولا يعقلون؟!

ألا بعدا للقوم الكافرين.

وانصرف رسول الله ﷺ، وقد تحوط حوله من بقى بمكة من صحابته، يسبحون لله ويكبرون.

وأراد الله أن يثبت فؤاد نبيه ﷺ، فجاءه جبريل عليه السلام وأقرأه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَحْمِلُونَهُ عَلٰى مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾ [سورة النجم - الآيات ١ : ١٨].

فى الصباح اجتمع رسول الله ﷺ بصحابته، قرأ عليهم ما نزل عليه من سورة النجم، وحين انتهى الرسول إلى ختام السورة قارنا قول الله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ۝١٨ أَرَأَيْتِ الْأَرْزَاقَ ۝١٩ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٢٠ أَفَرَأَىٰ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْبُجُونَ ۝٢١ وَتَصْحَكُونَ وَلَا تَتَّبِعُونَ ۝٢٢ وَأَنْتُمْ سَاهُونَ ۝٢٣ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۝٢٤﴾ [سورة النجم - الآيات ٥٦ : ٦٢].

خر الصحابة «رضى الله عنهم» على وجوههم ساجدين لله، وقد سال الدمع من العيون مدرارا يغسل الأبدان والنفوس، ويثبت اليقين، ويملا القلوب أملا فى أن تدركها رحمة الله، فيكون أصحابها من ورثة جنات النعيم.

□□□